انسيابية النص القرآني في العتبات النصية ونسيج قصائد ديوان "لغة مشاعرَ وأحاسيس" لناصر المالكي

[The Qur'an Text Effect on Text Thresholds in Nasirul Maliki's Poem Collection]"Lugatu Mashaira Wa Ahasis"

Aminu Yahuza
bunyahuza@gmail.com

Article Progress:

Submission date: 01-12-2023
Accepted date: 20-12-2023

ABSTRACT

The presence of Qur'an text in Nasirul Maliki's poem collection "Lugatu Mashair wa Ahasis" was a plenty and noticeable, it has many reflections on text thresholds in different areas like collection title, dedication and poems title, also has a deeply reflecting in Maliki's poems in their morphological words, phrases, clauses, sentence structure and pragmatic meaning lastly. This paper attempts to study the forms of presence of Qur'an text and its effects in structuring a text threshold in the poem collection, also wants analyses deeply role of Qur'an text in growing a literary and emotional meaning related to text thresholds, then the paper tries to define ways used by poet in making an attracting receiver to his text. The study employs a descriptive, and historical method.

Keywords: *Effect, Qur'an text, Text Thresholds, Poem Collection, Nasirul Maliki*

المستخلص:

يمثل النص القرآني في ديوان "لغة مشاعر وأحاسيس" لناصر المالكي حضورا مكثفا لافتا للنظر، وله تجليات في العتبات النصية بداية بعنوان الديوان ومرورا بإهدائه وانتهاء بعناوين القصائد، وتتعمق هذه التجليات داخل قصائد الديوان من حيث الألفاظ وبنيتها الصرفية والتراكيبية وتشكيلها للعبارات اللغوية وصولا إلى الدلالة التداولية التي قد تتوافق مع دلالة النص القرآني أو تختلف عنه في الغالب. انطلاقا من هذه الإشكالية تهدف الدراسة إلى البحث عن حضور النص القرآني وعن أثره في بناء العتبات النصية وانسيابيته داخل نسيج قصائد الديوان، مع الوقوف على بُعدها التوظيفي كَلَبِنة لغوية أو مادة خام يشكلها الشاعر تشكيلا فنيا تتوافق مع تداعيات المعاني اللغوية والدلالات العاطفية، وتسير الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى أهم التنائج العلمية، منها: إن كثيرا من عتبات قصائد الديوان تأثرت بالنص القرآني تؤثرا مباشرا أو غير مباشر، وذلك من خلال الألفاظ والتراكيب والقصص القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الانسيابية، النص القرآني، عتبات النص، الديوان، ناصر المالكي

مقدمة

كان للقرآن الكريم أثر بيّن في ثقافة الشعوب الإسلامية بما فيهم الشعوب الإفريقية، ويتجلى هذا الأثر في الجوانب الفكرية والعلمية واللغوية والأدبية والاجتماعية والسياسية، انطلاقا من هذا استطاعت إفريقيا السمراء أن تنجب كثيرا من المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء، وتحظى نيجيريا قديما وحديثا بنصيب وافر من أولئك المنتجين (انظر: غلادنثي :1993م ص:115)، ويزخر القرن الواحد والعشرين بعدد كبير من الشعراء، ومن بينهم ناصر المالكي الذي أبدع الأشعار والدواوين التي تأثرت بالنص القرآني، ويتجلى هذا الأثر أكثر في ديوان "لغة مشاعر وأحاسيس" حيث انساب النص القرآني فيه وتجلى تجليات متعددة مما لفت انتباه الباحث إلى دراسة هذه الظاهرة من خلال العتبات النصية من حيث عنوان الديوان والإهداء وعناوين القصائد وما تجلى في نسيجها اللغوي بحثا عن الأثر القرآني، وهذا يفتح الباب واسعا أمام الباحثين في دراسة قصائد الديوان والتعرف على أبعاد تجليات النص القرآني وكيفية توظيفها بجانب النصوص الأخرى التي أسهمت في تكوين ثقافته الشعرية.

الدراسات السابقة

قام الباحثون بدراسات أكاديمية حول قصائد ناصر المالكي من جانب ودراسات حول عتبات النص من جانب آخر، وأما عن الدراسات التي كُتبت عن ناصر المالكي فهي تنصب في جوانب الدراسات الأدبية والبلاغية وقليل من الدراسات اللغوية دون أن تتطرق إلى العتبات النصية ومن هذه الدراسات ظاهرتا الطباق والجناس في قصائد الإمام محمد ناصر علي الخواص "دراسة بلاغية تحليلية" قدمتها الطالبة فاحتة لول، جامعة بايرو، عام 2016م، وتشتمل الدراسة على ثلاثة فصول وخاتمة. وصور من أساليب البديع في قصيدة زفاف إلى اللغة العربية للشاعر ناصر علي الخواص "دراسة بلاغية تحليلية" قدمها الطالب سعد الله قاسيوني كَبَرَ لقسم اللغة العربية، جامعة بايرو، عام 2019م، وتشتمل على أربعة فصول وخاتمة. والمديح النبوي عند الشاعر ناصر علي الخواص "دراسة بلاغية تحليلية لقصائد مختارة" قدمتها مجموعة من الباحثين: يحي أحمد أبوبكر، وسعدية أحمد مَعَجِ، وعثمان منزلي، ومرتضى سفيان، وزهراء سعيد أحمد، إلى قسم العربية

كلية أمين كنو، نيجيريا عام 2019م، وتشتمل الدراسة على ثلاثة فصول وخاتمة. وفن الغزل في ديوان "لغة مشاعر وأحاسيس" قدمها الباحث ثامن أحمد إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو نيجيريا، وتشتمل الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

وأما عن الدراسات التي كتبت عن عتبات النص عموما فإنها كثيرة لكنها ترتبط غالبا بالنص الروائي لا النص الشعري، ومن هذه الدراسات ما كتبه عبد الفتاح الجحمري 1996م في كتابه عتبات النص: البنية والدلالة، جمعت دراسته بين التنظير والتطبيق على بعض الروايات العربية دون أن يتطرق لعتبات عناوين الشعر. وجيرار جنيف 1986م، في كتابه مدخل إلى جامع النص، من خلال دراسته للنص تعرض للعتبات النصية بإيجاز، وسعيد يقطين 2005م من النص إلى النص المترابط، حيث تعرض لبعض المصطلحات المتعلقة بعتبات النص.

وباعتبار ما سبق من الدراسات تعدّ الدراسة القائمة من الدراسات التي توسعت في معطيات العتبات النصية التي قل التطرق إليها في مجال عناوين القصائد الشعرية لاستنطاق الجانب الدلالي، وأنها تخص ديوانا شعريا بعينه من أهم دواوين الشاعر النيجيري لمتابعة الأثر القرآني في هذه العتبات وتداعياتها على المعاني التي يصبو إليها الشاعر.

منهجية الدراسة

تقوم الدراسة على البحث عن انسيابية النص القرآني في الديوان، والوقوف على أبعادها اللغوية والدلالية الوظيفية وما يتصل بذلك من تشريح ذاكرة الشاعر الاختيارية لنص دون غيره للتعرف على مدى تعاطيه النص القرآني وتمثيله في نصوصه الشعرية، وما يترتّب من ذلك من الأنماط التي تكشف عن أبعاد هذه الانسيابية. وتشتمل الدراسة على المباحث التالية:

1) مقدمة
2) المبحث الأول: التعريف بالشاعر وديوانه "لغة مشاعر وأحاسيس"
3) المبحث الثاني: العتبات النصية مفهوما وأبعادا
4) المبحث الثالث: انسيابية النص القرآني في العنوان والإهداء
5) المبحث الرابع: انسيابية النص القرآني في عتبات عناوين القصائد
6) الخاتمة والنتائج

المبحث الأول: التعريف بالشاعر وديوانه "لغة مشاعر وأحاسيس"

ولد الشاعر في قلب مدينة كَنُو- نيجيريا، في حارة كَبَرَ(1997م)، الموافق (1427هـ). وذلك بعد وفاة جده الشيخ ناصر كَبَرَ بسنة، فسماه والده باسم جده فألاً حسنا وتسليةً لفقد الراحل العظيم، ولُقب الشاعر بلقب جده (المالكي) (المالكي من الصفر:2020م ص8) لرسوخ الجد في مذهب الإمام مالك بن أنس، واشتهر الشاعر به. والشاعر هو محمد الناصر بن علي الخواص بن الشيخ محمد الناصر كَبَر (شيخ الطريقة القادرية في غرب إفريقيا)، ووالدته الأستاذة حسينة بنت الحاج حبيب (طَنْ أَلْحَجِي) بن الشيخ مصطفى المعروف بـ(مالم بَابَا) بن الشيخ زكرياء المعروف بـ(مالم زَكَرِي)،

وهو المؤسس للكتّاب المشهور بـ(لُونكُنْ مَكَرَنْتَا). نشأ الشاعر في بيت علم ودين وثقافة، وتربى على يد والديه الكريمين بحارة كَبَر، قريبا من بيت جده (دار القادرية) بمدينة كنو(المالكي من الصفر:2020م ص8).

حفظ القرآن العظيم بعد العاشرة من عمره، ثم شرع ينهل من حلقات العلم، وفي هذه الفترة التحق بمعهد الدين -غُوالِي كنو- حيث تلقى فيها كلا من دراساته الابتدائية والإعدادية والثانوية خلال سنة (2002-2013م) باستثناء سنة (2004-2005م) حيث درس خلالها بمدرسة" الأخوة" بتريم الجمهورية اليمنية. حصل على شهادة الليسانس في التربية والدراسات الإسلامية بجامعة "يُوسُف مَيْتَمَا سُلَيْ" كنو- سنة 2019م، كما التحق بدروس خصوصية عن اللغة الإنجليزية وآدابها في عدة مدارس.(المالكي، مرجع سابق، ص9)

نشأ الشاعر في بيئة ولاية كنو إحدى الولايات النيجيرية الشمالية التي عُرفت بالتمسك بالإسلام وثقافته وتعاليمه، حيث انتشرت مظاهره في المدن والقرى نتيجة قيام العلماء بالدعوة والإرشاد وتدريس العلوم الإسلامية في البيوت والمساجد، على مذهب الإمام مالك والعقيدة الأشعرية والطرق الصوفية في الغالب، وبما أن الشاعر قادري الطريقة، فقد تلتقي ثقافته الشعرية مع روافد ثقافية متعددة ما بين الثقافة العربية الإسلامية بشقيها النظامي والتراثي والثقافة الغربية أيضا، بجانب حلقات الذكر والإنشاد، ما جعلت عيناه تتفتح على الشعر مبكرا، وبدأت محاولاته الأولى مع شعر لغة الهوسا قبل اللغة العربية؛ وقد بدأت شاعريته بالعربية من خلال ما تحصل من المدرسة، ويقول: إنه على طريقه من المدرسة إلى البيت غالبا ما يحاول أن يردد ويغني بعض الأناشيد التي حُفِّظها في المدرسة، فينسى صدر بيت أو عجزه من الأنشودة، فيجتهد في نسج عبارات جديدة تحل محل المنسي، وكما تربى على دواوين جده الشاعر محمد الناصر كبر (رحمه الله) "سبحات الأنوار" و"نغمات الطار" و"الديوان المبارك" ويقول الشاعر المالكي عن جده (المالكي، مرجع سابق، ص11)

أحن إلى الجد ما كنته ولو كنت دهرا لخلدته
سقطتُ على الأرض وهو علي ويا ليتني منذ أدركته
إذا لم أصاحبه في عيشه ففي علمه الحيّ صاحبته
متى يعجز الحرف عن نعته ففي وجه أبنائه نعته
ومذ قيدوا فخرهم قلت إني لجدي افتخاريَ أطلقته

كانت للشاعر نشاطات علمية وأدبية ودعوية وتأليفية، فقد كان مدرسا في المدارس والحلقات، وألف بعض الكتب، وشارك في تأسيس جملة من النوادي الأدبية، مثل نادي نيجيريا الأدبي وهو رئيسه، و"شاطئ الراحة" في ولاية كنو، و"مهرجان كَنُو للشعر العربي"(2019م) بمناسبة يوم الشعر العربي العالمي، كما كان عضوا في لجنة التحكيم لمسابقة "أمير الشعراء" تحت جمعية ازدهار اللغة العربية، كنو، وعضوا في اتحاد الكتاب العرب (النخبة الثقافية). ومتأهلا لمشروع (شعراء الألف) على مستوى العالم في مجلده التاسع؛ بمعجم شعراء القارة السمراء، ومشاركا في مسابقة جمعية

الشعراء العرب، وكما شارك في المهرجانات الشعرية المحلية والدولية. إلى الآن أخرج أربعة دواوين شعرية وهي: لغة مشاعر وأحاسيس وهو الديوان المدروس، وديوان من الصفر حتى انتهاء العدد، وديوان تراجيديا الوطن العملاق، وديوان لا مساس (المالكي، مرجع سابق، ص16)

وأما عن ديوانه "لغة مشاعر وأحاسيس" فإن أكثر قصائده أنشئت بين 2018 إلى 2020م، ويحتوي على 60 قصيدة وعلى 1200 بيتا شعريا، استعمل الشاعر كما هائلا من البحور الشعرية تحت أغراض شعرية متعددة، تتسم قصائد الديوان بالجودة العالية وبالفنية الشعرية المتميزة، وتظهر قسمات ثقافة الشاعر الشعرية بصورها المتعددة، فقد استطاع أن يستلهم النص القرآني والحديث النبوي الشريف، وبعض كتب التراث الإسلامي والأدب الإنجليزي بالإضافة إلى ثقافة لغته الأصلية (الهوسا) وفي قصيدة (حديث عشق مرفوع) جسد الشاعر ثقافته في علم الحديث والفقه ويقول منها: (المالكي لغة مشاعر:2020م ص96-97)

كل النساء حديثها مقطوع لكن حديث عشيقتي مرفوع
وضعيفهن يصح من تعديلها وصحيحهن بجرحها موضوع
لما قرأت فهمت أن جراءها يتفاعل المخطوط والمطبوع
فهي المدونة القديمة في الهوى وهي الأصول وكلهن فروع

المبحث الثاني: العتبات النصية مفهوما وأبعادا

يرد تركيب العتبات تركيبا وصفيا أو تركيبا إضافيا فيقال العتبات النصية أو عتبات النص، من هنا تستهل الدراسة بالحديث الموجز عن النص قبل الحديث عن العتبة، "يدور معنى النص في لسان العرب وتاج العروس حول معاني الرفع والظهور والتوفيق والتعيين والإسناد والوضع والسير الحثيث، وأقصى الشيء وغايته، ويقال النص رفعُك الشيء، ونصّ الحديثَ رفعَه إلى فلان، وكل ما أُظهر فقد نُصّ، والمنصة ما تظهر عليه العروس لتُرى، والثياب المرقعة والفرش الموطأة، ويقال نصصت الشيء حرّكته (ابن منظور،2000، ص271) ، والنص التوفيق والتعيين على شيء ومنه أُخذ نص القرآن والحديث، وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره، وقيل نص القرآن والسنة ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام (الزبيدي، 1993، ص369) ، وأما النص عند اللسانيين فيتمثل – كما يقول المرتاض- في "شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والأيديولوجية تتضافر فيما بينها لتكوّن خطابا، فإذا استوى مارس تأثيرا عجيبا من أجل إنتاج نصوص أخرى، فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته، وقائم على العددية بحكم خصوصية عطائيته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعوّد تعرّضه للقراءة" (مرتاض، د.ت، ص55) ، ويقول هاليداي "النص شكل لساني لتفاعل اجتماعي، وهو تبعا لذلك ترهين المعنى المحتمل" (بخيري،2003، 56)

والعتبات جمع عتبة فهي لغة "خشبة الباب التي يوطأ عليها" (أنيس وآخرون،1972،ص611) ، ويطلق عليها اصطلاحا عتبات النص أو النص الموازي أو النص المصاحب (*Paratext*) والعتبة هي الجسر الأول الذي يعبُره القارئ نحو العمل اللغوي الإبداعي، وعُرّفت العتبات اصطلاحا بأنها "كل ما يحيط بالنص من عنوان وغلاف وإهداء وكلمة ناشر ومقابلات مع الكاتب أو دراسات حول النص، ولعتبات النص وظيفتان: وظيفة جمالية تتمثل في تزيين الكتاب وتنميقه، ووظيفة تداولية تكمن في استقطاب القارئ واستغوائه فتشجعه على تصفح الكتاب واقتنائه"(حمداوي، د.ت، ص218) والعتبات بهذا المفهوم تعود إلى "مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من حواش وهوامش وعناوين رئيسية وفرعية وفهارس ومقدمات وخاتمات وغيرها من بيانات النشر المعروفة التي تشكل في الوقت ذاته نظاما إشاريا ومعرفيا، لا يقل أهمية عن المتن الذي يحفره أو يحيط به، بل إنه يلعب دورا مهما في نوعية القراءة وتوجيهها"(جمعة، موقع القدس، 2017)

والنص العتبي الموازي كما يقول جنيت "هو ما يصنع به النص من نفسه كتابا أو يقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعلى الجمهور عموما، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي، وعتبات بصرية ولغوية"(بنيس2001، ص188) "وهو نوع من التنظير النصي الذي يمثل التعالي على النص بالمعنى العام"(جنيت،1986، ص91) والمناص يمثل العتبات أو البوابات أو المداخل التي تجعل المتلقي عبر هذا النوع من التنظير النصي يمسك بالخطوط الأساسية التي تمكنه من قراءة النص وتأويله لأنها تربط علاقة جدلية مع النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وتقوم عتبات النص اللغوية التي تركز عليها الدراسة هنا بأدوار متعددة حيال النص، وخاصة عندما يكون النص إبداعيا، وتتمثل هذه الأدوار في تجسيد معطيات اللغة المفتاحية المحمَّلة للدلالة التداولية التي يحملها صاحب النص، وتتضافر فيها الشجون العاطفية والتأثير على المتلقي، وكما تحمل جاذبية صوب الأفكار التي يحملها النص، فنجاح صاحب النص في العتبات يحقق للنص مقروئية متواصلة، لقد تبارى المبدعون في نسج نصوص العتبات وتنميقها لتستجيب لميول القراء وجذبهم حيال صورهم الإبداعية من خلال جاذبية العتبات. والعتبات في حد ذاتها تستجيب لتدعيات العلاقات النصية وترابطها مع روابط النصوص القديمة والحديثة التي أسهمت في إبرازها إلى حيز الوجود، وتتمثل هذه العلاقات في التناص والتعلق النصي والتفاعل النصي.

ظهر مصطلح التناص مع ظهور دراسات الباحثة جوليا كريستيفا بين عام 1966م، إلا أنه ظل غامضا إلى أن تناوله جيني 1976م بقوله بأنه "عمل تحويلِ وتمثيلِ عدةِ نصوصٍ يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى"(بارت، 1989، ص107)، والتناص بهذا المفهوم يجسد مصدرية ثقافة المبدع التي اعتمد عليها في إنتاج نصه المركزي. ويرمز التعلق النصي إلى العلاقة بين نصين: لاحق وسابق، وينطلق التعلق النصي من المحاكاة أو السير على منوال كاتب ويتطور إلى الضد ليتنهي بشكل من أشكال تحول النص مثلا من اللفظ إلى الكتابة ومن الكتابة إلى السينما وغير ذلك. ويمكن القول بلغة النقاد أن العلاقة بين النص الآحق والسابق قد تكون اجترارية أو امتصاصية أو حوارية. وأما التفاعل النصي فهو صورة دقيقة عن التناص ويُعنى به تداخل النصوص وتفاعلها، ويقوم التفاعل بناء على "أنظمة علامات متماسكة

لكل منها دلالته الخاصة به، وهذه الأنظمة عندما تلتقي في النص الجديد، تُسهم متضافرة في خلق نظام ترميزي جديد، يحمل على عاتقه عبء إنتاج المعنى أو الدلالة"(اصطيف، 1993، ص53)

المبحث الثالث: انسيابية النص القرآني في العنوان والإهداء

تتحقق نصية العنوان الإبداعي من خلال خلق التصورات والأفكار لدى المتلقي، إذ يقوم المبدع المرسل بقمع إمكانية اللغة لصالح غايته التعبيرية، فمن هنا تنشأ الوظيفة السيمائية للعنوان "إذ تُفاجئ العلامة اللغوية في سياقها الأدبي القارئَ بدلالة مخالفة لدلالتها السائدة أو المتعارف عليها، عبر اللجوء إلى آليات التشبيه والاستعارة والإيحاء والترميز"(خالد، د.ت، ص51) هذا ما يفرض الوقوف التأملي على العنوان، وعنوان ديوان الدراسة هو (لغة مشاعرَ وأحاسيسَ) فإن هذا العنوان بالنظر إلى عناوين دواوينه الثلاثة الباقية (من الصفر إلى انتهاء العدد، لامساس، وتراجيديا الوطن العملاق) ندرك بأنه عنوان متوغّل في الشعرية من خلال استغلال البنى الصرفية والتركيبة المتمثلة في صيغ منتهى الجموع، والتركيبين الإضافي والعطفي في سياق التنكير.

وبالنظر إلى عناوين دواوين الشاعر الأربعة نجد أن عنوان ديوان (لا مساس) أكثر اقترابا من النص القرآني محاكاة، لأنه تركيب من قصة سامري موسى في سورة طه الآية (97) (قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلف...) إذنْ وما مدى اقتراب عنوان الديوان المدروس من النص القرآني؟، إذ لم تتفاعل نصية العنوان بالنص القرآني مباشرة، كما وجدنا مع الديوان المذكور، لكن الشاعر استدعى عنوانَه من عنوان القرآن الكريم من حيث الدلالة اللغوية والتداولية على حد سواء، وإذا رجعنا إلى مفهوم القرآن لغة سنجد أنه مصدر من قرأ يقرأ قراءة بمعنى الجمع والضم قرأ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، وقرأ الكتاب قراءة وقرآنا، تتبع كلماته نظرا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها،(أنيس، 1972، ص756) وأما كلمة اللغة فإن جذورها تعود إلى لغا في القول لغوا أخطأ، وقال باطلا، ولغا بكذا تكلم به،(أنيس، 1972، ص867) ، ويجتمع الأصلان في معنى لغوي واحد، لأن القراءة تلفظ بالكلام، وتعود القراءة إلى المكتوب، كما يعود الكلام إلى المنطوق، وكلاهما جمع وضم وقول وتتبع للكلمات والألفاظ والجمل والعبارات. ويتفاعل عنوان الديوان مع عنوان المصحف العزيز في جانب تداولية القراءة في حدود اللغة من الصفحات المسطورة إلى المشاعر العاطفية لإنتاج معنى جديد يخدم التعبير العاطفي في الدرجة الأولى.

وأما عن الإهداء في ديوان "لغة مشاعر وأحاسيس" فقد تجسّد الإهداء في أبيات شعرية أخاذة، لأن الناقد والأديب يحاول "أن يبدع في لحظة كتابة الإهداء معولا على سعة خياله وخصوبة مفرداته في انتقاء الكلمات الشعرية وصوغها بأسلوب معبر عما يملأ نفسه من مشاعر وأحاسيس صادقة كليا تجاه من يهدي إليه العمل" (أبوعدل، مجلة، 2017،ص593) وذهب إهداء الشاعر إلى أمه الحنون في سبعة أبيات شعرية، ينساب فيها النص القرآني من خلال امتصاصه العتبات القرآنية لينسج عتبة تنتمي إلى عاطفته ومن ذلك قوله (المالكي، ص 3)

أمي وتتخذ العوالم فيها أترى من الكلمات ما يكفيها
هي أول الآيات آخر سورة هي مصحف القلب الذي يُصفيها
إني أراني لن أملّ أطيعها وأرى الذي يأتي العقوق سفيها

يحضر النص القرآني حضورا مكثفا في هذه الأبيات، من خلال كلمات الأم والعالم، وأول الأيات، وآخر سورة والمصحف، أطيع، السفيه، في التفاعل مع النص القرآني تفاعلا ينسجم مع الدلالة التداولية العامة للقرآن في البر بالأم والإحسان إليها، مع صياغة المعنى التعبيري الجديد لمكانة الأم حيث استدعى التركيب القرآني لهذه الصياغة الجديدة أول الأيات، آخر سورة، مصحف القلب.

المبحث الرابع: انسيابية النص القرآني وعتبات عناوين القصائد

تزخر عناوين قصائد ديوان (لغة مشاعر وأحاسيس) بالحضور القرآني بشكل لافت للنظر مما جعل القصائد، ينساب فيها النص القرآني بأبعادها اللفظية والتراكيبية والوزنية والتقفوية انسيابا مباشرا أو غير مباشر، لكن هذه الدراسة هنا تركز على عتبات العناوين اللغوية مع الإشارة إلى نوعية هذه الانسيابية للنص القرآني داخل القصائد. يحتوي الديوان على ستين قصيدة (60)، وتحمل أغلب القصائد أثرا قرآنيا من خلال بنيتها السطحية أو ما ترمز إليه من البنية العميقة اللتين تتعانقان متفاعلتين مع بعضها البعض، وتعمق معطيات اللغة التعبيرية ذات الدلالة التداولية لألفاظ القرآن العظيم وتراكيبه. ويمكن أن نشتشف انسيابية النص القرآني على عناوين القصائد من خلال الأثر المباشر والأثر غير المباشر، وذلك في المحاكاة والعبارة المسكوكة والإحالة والحوار التفاعلي والخلفية المعرفة والمفارقة، والجدير بالذكر، هو أن كثيرا من قصائد الديوان تفاعلت مع عناوينها من حيث حضور النص القرآني كما تشير الدراسة.

العتبات المحاكاة والمسكوكة من النص القرآني

تقوم المحاكاة على توظيف المبدع للنص المستنسخ بطريقة حرفية ليُبدع فيها،(العامري، مقال، موقع، 2006) فقد وردت بعض العناوين مستنسخةً من النص القرآني دون أن يُبدع فيها الشاعر من حيث تغيّر النسق اللغوي لا من حيث الدلالة التداولية، ومن هذه العتبات، وكفى بالله حسيبا، أياما معدودات، وامراة العزيز، فقد وظفه الشاعر هذه العتبات وذاكرته اللغوية تستوحي من السور القرآنية التي وردت منها هذه العبارات. وعتبة "وكفى بالله حسيبا" جاءت من الآية السادسة من سورة النساء والآية الثامنة والأربعين من سورة الأحزاب، استدعى الشاعر معانيهما كلاهما لينسج بهما بنيته الدلالية، فالأولى تتحدث عن حقوق اليتامى والثانية عن عدم خشية أحد إلا الله، وقصيدة الشاعر من خلال بُناها اللغوية تجسد هذين المعنيين لأن القصيدة رثاء لوالده المقتول سحرا — كما يشير الشاعر- ويُعدّ هذا ظلما لليتامى الذين يُخلّفهم المقتول، وأنه لا يخشى أحدا في البوح بهذه الحقيقة إلا الله. ولهذا لم يختر الشاعر البدائل المتاحة في النص القرآني، مثل وكفى بالله نصيرا، وعليما، وشهيدا، ووكيلا، واختار وكفى بالله حسيبا، وذلك لتعميق معطيات الدلالة التداوية على الآلام والانتقام التين تقتاتان من شعوره العاطفي.

وأما عن عتبة "أياما معدودات" فإنها تنامت وسط تراكم العتبات اللغوية الدلالية التي وظفها الشاعر عن الحس اللغوي قبل الحس الإبداعي، وندرك هذه الحقيقة من خلال النظر إلى ورود هذا التركيب في النص القرآني، حيث ورد أربع مرات وفي المرة الواحدة ورد مفردا وأما المرات الثلاث فقد وردت جمعا، جاء وورده مفردا في الحديث عن اليهود على لسانهم في سورة البقرة الأية 80. "وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة.." وقد تكرر المعنى في بنيته العميقة في قوله

تعالى على صيغة الجمع بسورة آل عمران الأية 24 "ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات.." فالشاعر لا ينحو هذا المعنى اعتمادا على نمو البنية اللغوية والدلالية داخل القصيدة فإن العنوان ينصب في شهر رمضان شهر الصوم، بناء على آية سورة البقرة 184 "أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر.." وتلتحم هذه البنية مع بينة معاني أعمال أيام الحج في قوله تعالى آية 203 من البقرة أيضا "واذكر الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه..." دلالة على اِلْتحام الموسمين الصوم والحج في عرف الإنسان المسلم الإفريقي صوما وعيدا ومناسبة.

وعتبة "امرأة العزيز" تَسّطعُ من سورة يوسف، آية 51، (قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه، قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وظف الشاعر هذا التركيب القرآني لأهداف دلالية متعددة وهي المحاكاة للنص القرآني واستخدام التركيب على أنه تعبير مسكوك لدى كثير من المبدعين، والدلالة التداولية هي استسلامه لمن يحب كما استسلمت امرأة العزيز وأفصحت عن نفسها لهدفين: البوح بالحب والاعتراف بالذنب، ويلاحظ أن جملة من غزليات الشاعر بالديوان تقترب من هذا المعنى.

العتبات الإحالية إلى النص القرآني

تكون الإحالة من خلال توظيف بعض الكلمات أو التراكيب التي توحي بإشارات أو إحالات مرجعية رمزية أو أسطورية.(العامري، مرجع سابق) فقد وظف الشاعر هذه الآلية كثيرا لاستحضار النص القرآني ومن ذلك قوله: كيلا يعود السامري، داود المزامير، وامرأة العزيز أيضا، ما وراء الإسلام، وهذه العتبة الأولى تستدعي قصة التمرد على الله من قبل السامري، والثانية ترمز إلى طاعة نبي الله داود المحفوف بالكرم الرباني في مقابل ذلك التمرد، والثالثة قصة الحب والعشق من قبل امراة العزيز. وعنوان كيلا يعود السامري عنوان يُحيل القارئ إلى قصة سامري نبي الله موسى عليه السلام في قوله تعالى من(85-97) (قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري...قال فما خطبك يا سامري، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول وكذلك سولتني نفسي، قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلف وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا) ينقل الشاعر القارئ من النص القرآني إلى حادثة مؤلمة نسجها من الاستعارة التصريحية وهي سبّ الجناب النبوي الشريف من قبل بعض الأوغاد فوسمه الشاعر بالسامري، لأن تمرده لا يقل عن تمرد السامري، ولمن يقرأ نص القصيدة يدرك جليا تنامي النص القرآني في أكثر أبياته ويقول (المالكي، مصدر سابق، 27) منها:

هيهات يتعظ الحمار بضربه — والسيف ملقى عن سواعد حربه
ما لابن آدم حيث يجعل ظنه — حقا ويؤمن باستقامة كِذبه
يمشي وتحدوه الضلالة شاسعا — حتى يحيط به جهنم دربه
يأوي إلى الشيطان مُنْذُ حظَى به — ألقاه جهلا في غَيابة جُبّه

العتبات الحوارية التفاعلية مع النص القرآني

حاولت هذه العتبات أن تعقد حوارا تفاعليا مع النص القرآني، وُيقصد بالحوار التفاعلي مرتبة من التواصل مع النصوص والتعالق بها واستنساخها مجاوزا حدود الاجترار والامتصاص إلى المحاورة (العامري، مرجع سابق) ومن هذا المنطلق جاءت بعض عتبات قصائده على النحو التالي: ركعة حب، تلاوة على روح الوالد، وتلاوة على أذن الحبيبة، كأنها هي، سلمان يكفر بالعذوبة، وإذا أخذنا عتبة قصيدة تلاوة على روح الوالد، فهي مرثية لوالد الشاعر وهجومه على قاتله سحرا كما يزعم، وكذلك عتبة قصيدة تلاوة على أذن الحبيبة، فكلاهما عتبة تستدعي من النص القرآني، بينهما مداخل ومخارج، استدعى الشاعر من لفظ (التلاوة) عدة ألفاظ قرآنية ليبني بها نص العتبتين، والتلاوة اصطلاح قرآني ورد في القرآن بصيغ الأفعال مفردا وجمعا، وأكثر معانيها القرآنية تضاف إلى وظائف الأنبياء والرسل والعلماء الصالحين، ومن ذلك قوله (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته..."آل عمران 164") و (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة "البينة 2") وعتبة (تلاوة على روح الوالد) في دلالتها التداولية دعاء وترحّم على روح الوالد المتوفى، وهذه الدلالة لم تشطط كثيرا عن الدلالة القرآنية العامة، وأما (تلاوة على أذن الحبيبة) فقد تعمق الشاعر في محاورة النص القرآني حيث نسج بها دلالة جديدة وهي المناجاة مع الحبيبة، من خلال الوظيفة السياقية، هذا ما يدل على "القراءة الواعية المعمقة التي ترفد النص الحاضر ببنيات نصوص سابقة تراثية أو معاصرة وتتفاعل فيه النصوص الغائبة والحاضرة في قوانين الوعي واللاوعي" (أبوريان وآخر، مقال، ص 10). هذا فقد انسابت هذه العتبة إلى داخل القصيدة انسياب النص القرآني فيها مثلا: (المالكي: مصدر سابق، 215-217)

رفقا بنفسك واشتهي خيلاها ودعي دموعك، ينطوي سيلاها
وضعي عيونك في عيوني علنا نرتاح في النار التي نصلاها
لا تقنطي من رحمتي فأنا الذي يعطي السراب الريَّ إن هو لاها
ما أذّنتْ أنثى بصوت خاشع إلا وقلبي بالهوى صلاها
مدي يمينك كي أبايعه على دين يزيل عن الحياة بلاها
إن الذين يبايعونكِ إنما هم من عليه يبايعون الله

عتبات الخلفية المعرفية مع النص القرآني

تقوم الخلفية المعرفية على المعرفة المسبقة عن شيء بعينه لدى المتلقي، ما يجعله يسترجع هذه المعرفة عندما يقرأ نصا من النصوص اعتمادا على التشابه النصي من مداخله ومخارجه بها يحلل النص ويفككه لإعادة تركيبه من جديد، استعمل الشاعر كثيرا من عتباته النصية انطلاقا من خلفية المتلقي ما يجعله يستعيد النص الأصلي بناء عليه، وكذلك الاعتماد على نص القصيدة، ومن ذلك عتبات من مؤتمر الله، رسمية الله، رسمية الدول الخالدة، في مقام الحبيب، أخت السماء، والمؤتمر مجتمع للتشاور والبحث في أمر،(أنيس وآخرون، سابق، 46) وإضافة لفظ المؤتمر إلى اسم الجلالة (الله) يغير المعنى عن طريق المصاحبة، هذا ما يستدعي المتلقي إلى استحضار خلفيته المعرفية فيَنسب المؤتمر إلى تجمّع يرضي الله عز وجل، وليس هناك تجمّع أعظم من موسم الحج الذي يتجمع المسلمون من كل حدب وصوب، بناء على ذلك هناك كثير من

النصوص القرآنية التي انسابت داخل هذه العتبة، كأن الشاعر يقول (الحج أشهر معلومات..البقرة، 197) أو (وأذن في الناس...الحج:27) ولهذه الأسباب تنامت نصوص قرآنية من سورة البقرة والحج وغيرهما في القصيدة ومنها يقول(المالكي، مصدر سابق، 226-228)

في صدى لبيك من مؤتمر الله في ابْيِضَاضِ الكون من حسن محلاّه
في انطلاق الروح مما يشتهي لانجذاب القلب في حضرة مولاه
عرفات الحشر هل أعددتَ لي جبلا يُلحقني بالله أعلاه
يا مقام الخل طاب العهد منذ اتخذناك مصلى يا مصلاه
يا ذبيحا قال فيه المبتلِي وفديناه بذبح حين أبلاه
يا ضيوف الله هُنّأتم على حجّكم حين أفضتم من معلاه

وأما عتبة رسمية الله، ورسمية الدول الخالدة، فإنها تستدعي، (صبغة الله...البقرة:138) رمزا للغة العربية بناء على ما تحمله القصيدتان، فإنها تدخل في مصاف الصبغة الإلهية التي تتميز عن غيرها، ولعل مما يؤكد هذا الاستدعاء الآية التي وردت بعدها في المحاجاة، وتعتمد المحاجاة على اللغة وذلك في قوله تعالى (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون. البقرة 139)

عتبات المفارقة اللغوية

المفارقة تقوم على التضاد على مستوى السياق اللغوي أو على مستوى اللغة وسياقها الخارجي، "بحيث تجعل القارئ في حالة ترقّبٍ لمعنى وإيصال دلالات مختلفة وتصدمه بنقيضه فيشعر بالفارق الهائل بين الأمرين..بين الدلالة الحرفية والدلالة الجديدة" (شحادة وآخر، مجلة الكترونية) ومن العتبات النصية التي تنتمي إلى هذا المعنى جنة من عذاب، وبنت الزجاج. تعود عتبة جنة من عذاب إلى مفارقة لغوية حادة حيث حملت لفظين متضادين وهما جنة وعذاب وكلاهما من الألفاظ القرآنية المبثوثة فيه، ورد لفظ جنة مفردا ومثنى وجمعا، كما ورد معرفة ونكرة، وكثيرا ما ينتمي لفظ الجنة منكرا إلى جنة الدنيا ومنه قوله تعالى (أيود أحدكم أن يكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون:البقرة 266) وقليل منه يرد لفظ جنة الآخرة ومنه قوله (في جنة عالية، الغاشية:10). وأما لفظ (عذاب) ورد معرفا ومنكرا في القرآن الكريم، وفي هذه المفارقة تفاعل حواري مع النص القرآني أيضا، حيث جمع بين المتناقضين للدلالة على ألم الحب ولذته في آن واحد، وقد انساب هذا المعنى في شرايين ألفاظ القصيدة وتراكيبها ومن ذلك قوله (المالكي، مصدر سابق، ص 153)

جنة كمْ أنا أُعذّبُ فيها فاسمعي إن أدرتِ أن تعرفيها
صدّقيني وإن تَرَيّبْتِ في الأمر اسْألِي القريةَ التي كنتِ فيها

الخاتمة والنتائج:

تحولت الدراسة في (انسيابية النص القرآني في العتبات النصية ونسيج قصائد ديوان "لغة مشاعر وأحاسيس" لناصر المالكي) بحثا عن الأثر القرآني في هذه العتبات، استهلت الدراسة بالتعريف بالشاعر وديوانه المدروس ثم تثنت بعرض مفهوم العتبات النصية وانتهت بدراسة هذه العتبات اللغوية بداية بعنوان الديوان وإهدائه وكما ختمت بعتبات عناوين القصائد في المحاكاة والعبارات المسكوكة والإحالة والحوار التفاعلي والخلفية المعرفية والمفارقة. وأخيرا توصلت الدراسة إلى أهم النتائج على النحو التالي:

1) أن ديوان "لغة مشاعر وأحاسيس" تجاوب مع انسيابية النص القرآني بداية بعنوان غلافه ومرورا بإهدائه وانتهاء بعتبات القصائد.
2) يحمل كثير من عتبات قصائد الديوان أثرا مباشرا و غير مباشر للنص القرآني، كما ينساب هذا الأثر داخل القصائد.
3) تتصدر قائمة العتبات الحوارية التفاعلية فالعتبات الخلفية المعرفية فالعتبات الإحالية ثم العتبات المحاكاة والمسكوكة وأخيرا عتبات المفارقة
4) تخلل النص القرآني في العتبات النصية للديوان من خلال الألفاظ والتراكيب والقصص القرآني من خلال الإحالة وغيرها.
5) أن حضور النص القرآني في عتبات الديوان وداخل قصائده مؤشر قوي جدا في الأثر الذي خلفه النص القرآني وما زال يخلف في الشعراء الأفارقة عامة والشاعر ناصر المالكي خاصة.

المصادر والمراجع:

ابن منظور، لسان العرب، ج14 دار صادر لبنان، 2000

بحيري، مدخل إلى علم النص، مؤسسة المختار 2003

جميل حمداوي: لماذا النص الموازي، مجلة الكرمل، عدد الصيف والخريف 89-88

جيرار جنيت، مدخل إلى جامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار توبقال، المغرب، ط 2، 1986

حسين خالد ترفاس، شؤون العلامات: من التشفير إلى التأويل، التكوين للطباعة والنشر 2008م

الدكتور محمد أبو عدل، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مجلة علمية محكمة عدد 21، الجزء السادس، 2017/1438 دار الفكر للطباعة والنشر

رولان بارت، أصول الخطاب اللغوي، ترجمة أحمد مديني، دار الشروق الثقافية العامة، بغداد 1989م

سعيد يقطين من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت 2005

شيخو أحمد سعيد غلادنثي، الدكتور، (1993م) **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، ط، المكتبة الأفريقية

عاصم شحادة وإبراهيم عمر محمد، المفارقة اللغوية وتوظيفها في شرح الخطاب النبوي، مجلة مدارات ثقافية على موقع WWW.MADARATTHSKAFIA.COM

عبد الملك مرتاض، دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د،ت)

عبد النبي اصطيف، التناص، مجلة راية مؤتة، مجلة 2، عدد 2، 1993م جامعة مؤتة

فاتح محمد أبوبكر أبو زيان وآخر، توظيف التناص لغويا في الخطاب الشعري، مقال مكتوب على فيديأف القرآن الكريم

ليلى العامري، التناص، مقال على موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، www.alfaseeh.com 2006/10/16م، نقل بتاريخ 2022/1/7م

مجمع اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة

محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنايته وأبدالاته التقليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط، 3، 2001

مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج9، تحقيق علي بشرى، دار الفكر، بيروت

مصطفى عطية جمعة، القراءة الدلالية للعتبات النصية، مقال منشور على موقع القدس، www.alqudus.co.uk

ناصر علي الخواص كبر (المالكي) لغة مشاعر وأحاسيس 2021م

ناصر علي الخواص كبر (المالكي)، من الصفر حتى انتهاء العدد، ديوان شعر مطبوع بطبعة الحسنى للوكالة والطبع، كنو، 2020م